

« لا فائدة للعمل الفني الا في النطاق الذي  
يرعش فيه ارتكاسات المستقبل »  
اندريه بروثون

يشكل المعرض الجماعي الذي نظم سنة 1918 بيهو فندق الاكسلسيور ،  
بداية تاريخ رسم اللوحة في المغرب . انه رسم طموح لكنه عقيم ينحصر في  
الوفا ، التسجيلي والوثائقي ، ويقتصر على الشعر السهل ، ويتميز ككل رسم  
استعماري برفضه للقلق . ولانه رسم يتسم بالطبيعية الاكاديمية جدا - تلك  
الاكاديمية التي تشوبها ، وبشكل مبهم - انطباعية جديدة - فهو لا يتقبل  
اجهاد العقل في فك الغاز التعبير : يفضل الحكاية فيبقى على هامش كل  
تساؤلات الفن الحديث ، وهكذا يرفض كل مفهوم جديد للرسم يؤكد مدلوله غير  
التصويري (المعنى الفلسفي والاجتماعي)

« كان الناس يذهبون الى المغرب ليرسموا فيه ، اما الآن فنحن نذهب  
اليه لملاقة ومشاهدة أعمال الفنانين المغاربة الشبان ، . انهم مجموعة كبيرة  
وعدهم في تزايد مستمر ، مما يدفع الى الاعتقاد بأن عملية زرع الرسم قد تمت  
دون أي رفض ، ويبدو في الواقع أن مجتمعا كمجتمعنا كان هدفا للهجوم ، أو  
كان مجبرا على الاحتكاك ، يبدى ضد عنصر ثانوي مقاومة أقل من تلك التي  
يواجه بها عنصرا ذا أهمية رئيسية = ولأن العنصر الثانوي أقل اخلايا  
وتشويشا . فهو لا يثير حذر المجتمع المتعرض للهجوم . وهذا ينطبق على  
الابداع التشكيلي ، تلك الظاهرة الثقافية العارضة التي تفسرها تحولات  
المجتمع المغربي الذي زلزلت الصدمة الغربية عاداته الموعلة في التقدم .

لا يعبر الرسم في المغرب عن مجرد حاجة حيوية ولكنه يعبر عن ضرورة  
ملحة وحارقة . أما الآن فان هذا الشكل يتخبط في وضع دقيق وخطير ومتناقض .  
من اللائق أن يوضع في موازاة مع وضع كل مبدع كاتبا كان أو معماريا أو  
سينمائيا ، وزيادة على ذلك فان الاشكالية التي تخلق بال بعض الفنانين ،  
تتجلى - من حيث تساؤلاتها الاكثر اقلاقا وايلاما - في غالبية ثقافات العالم

الثالث . ان الفجوة و « الجرح » المفروضين بفعل المرحلة الاستعمارية يشكلان قطيعة خطيرة بين ما قبل الاستعمار وما بعده .

الرسم في المغرب مكسب حقيقي ، ولكن ، ماذا نرسم ؟ ولمن ؟ ولماذا ؟ وننسى ان النظرية تصبح نتيجة ضرورية للنشاط التشكيلي . كيف نجرؤ على التحدث عن الرسم ، في حين أن هذه الكلمة التي زالت قدسيتها وأصبحت موضع تساؤل واتهام - قد فقدت كل معنى . ألا يصرخ الجميع الآن معلنا موت الفن على طول الغرب المأزوم وعرضه ؟

كيف يمكن أن نجدد موقفنا من أكثر الاتجاهات جدة في الفن المعاصر : الفن الشعبي - الفن المضاد . الفن المفهومي و Bohy art والفن السوسيوولوجي كيف يمكن التخلص من النفي المزدوج : نفي الذات والنفي الذي يسلطه الآخر . ان التخلف يطاردنا ، ثم ان هناك بالنسبة لنا نحن المواطنين - مسألة القضايا الملحة . ما الجدوى من اثاره مشكل الابداع التشكيلي ، ما معنا لم نرض بعد الاحتياجات الحيوية ؟ معنى هذا أننا ننسى أن مقتضيات الرغبة يمكن أن تتغلب على قضايا الحاجة ، ثم أن ارضاء الضروريات لم يشبع قط الرغبات . وبالنسبة للعالم ، ما هي المساهمات التي يمكن أن تقيده بها لوحات بلد من بلدان العالم الثالث ؟ واذا وضعنا قيمتها الوثائقية التسجيلية جانبا فما هو المفعول الحاسم الذي يمكن أن يكون لها ؟ أما اذا إنطلقنا في حكمنا هذا من تمثل التخلف الاقتصادي للتخلف الثقافي ( وهو تمثل سريع ) أمكننا الاعتقاد بأن هذا المفعول الحاسم منعدم تماما . ان « الموهبة » التي هي امتياز العالم الثالث غير موجودة كذلك . اذ لكل شخص نفس القوة الابداعية ونفس القدرة على استيحاء الاشكال الرمزية المختلفة والفريدية . المهم هو النفاذ الى منطقة هذا الموضوع السرى حيث تطعم القوى الرئيسية كل تطور .

ورغم ذلك ، ألا يكفي لخلق فن حقيقي ، أن يستحوذ أحد الفنانين على شكل من أشكال التعبير الأوروبي التقليديّة ! الواقع أن السؤال لا يستهدف ما العمل ؟ ، هذه الصيغة الشهيرة التي هي اختزالية جدا حسب مصطلح التقليد ، ولكن السؤال يستهدف « من نكون ؟ » التي هي أكثر راديكالية . لنا الحق في أن نتساءل عما يفرق ويخالف بين ابداعنا التشكيلي وبين ابداع البلدان الأخرى . أين يمكن أن نعثر على مغربية هذا الابداع ؟ وعلى كل حال فليس من خلال اشكال ومظاهر السطح التي يتضح أنها مقترضة . ويقع لختيار الرسامين عموما على الشكل التجريدي - هذا الشكل الذي يتجاوز الشكل - لانهم يعتقدون أن كل تشكيل يعزل الظاهرة المنفردة ، ويحمل داخله حدوده الخاصة . انهم يعون أنفسهم عن طريق نوعية اشكالهم . ويعون من خلال انفسهم الآخرين والعالم . ان وضوح وصفاء بعض الفنانين شيء واقعي ، ولكن هل التطابق بين النظرية والتطبيق ، تام ؟ يلتجئ بعض

الفنانين أحيانا الى التقاليد العربية الاسلامية ، بعد فوات الأوان لتبرير إنتاج معاصر غريب عنها ...

هذا اللجوء الى التفسير بالتقاليد ، لا يمكن أن يقضى على حالة عدم الانضواء الى شيء ، أو يقضي على برودة وثقافة النقل عن الفن الغربي ، أو على الدلالات الأولية للهوية الوطنية . ان كل فنان يبحث بالحاح ليصبح مطابقا لذاته ، والا يكون غير نفسه ، ويرغب في أن يكون عمله صادرا عن سلطته الخاصة ، حتى لا يبقى منفيا في عالم العقل ، ، ويفرض علينا الصراع الثقافي - والتركيبة التي هي في حالة انتظار - فنا مصدوعا ومشروخا وتعبيرا مضابفا ومحاصرا بسبب لعبة التمارضات والانقطاعات ، والتراكم ، والاشكيال الزوبعية التي تبحث عن توازن متجاوز للشكل . ويتبقى وجوب انتشار الرسم المغربي من خطر مزدوج يحقق به . فمن ناحية هناك خطر التعبير الذي ينتمص دور الأصالة والذي يخفي بشكل سيء مظهره الفولكلوري . ومن الناحية الأخرى خطر رسم ايماني يقلد ( ميكانيكيا ) « الطليعة الغربية » متذريا بالمصرية والعالمية .

يفضي بنا هذا الى طرح مشكل الأصالة : مشكلنا العريق والمعاصر جدا . هذه المعضلة لم تفقد ولو قليلا من حدتها . كيف نحقق تركيبة متناسقة من الثقافات دون أن نقبل رغم ذلك الاستلاب ولا التخلي عن الشخصية ؟ لا توجد وصفة اعجازية يمكن أن نقترحها للمسالمة والصلح بين الحاضر والمعاصر ، إذ يجب ابعاد كل توجيهية .

لا بد من وجود أرضية لكي يمكن وجود إنتاج ونقد . ورغم ذلك فإن الشرقاوي أسهم بحل أصيل لمشكل تركيبة الفنون المغربية التقليدية ومكتسبات الغرب . وهو حل يلائم فترة محددة . ان رسم الشرقاوي يمثل حدثا تاريخيا يفتح الطريق الى التحرر عن طريق الدليل . الا زال هذا التحرر يحافظ عن مدلوله حتى الآن ؟ الا نكلمه الآن تكاثر وتقليدية الدليل الفارغ والتاكيد بواسطة الجنس ؟

ان كل فنان أصيل على شرط أن يكون مخلصا لمقصد أو نية فنية . ورغم ذلك الا يجب أن يوضع مفهوم الأصالة في مستوى أكثر علوا ، كنوع من التحدي للحدود الانسانية ، وأن يضاف بأن كل فن أصيل اما أن يكون مستقبيا (( حدسيا ) أو أنه ليس فنا ؟

يجب أن نعرف اذا ما كان لا يزال في امكاننا السمو بواسطة الرسم عن قرفنا ، وفتح أبواب الامكان للمستقبل ؟

واعتمادا من أن الارغام والضغط المسلط على الفنان من طرف المادة ، وكذلك ضغط القماش تلك البشرة الأخرى ، يصل الى الحد الذي يستحيل على الفنان معه التخلص من أي تأثير من تأثيرات الفن الاوروبي ، وكذلك انطلاقا من التخليص من حرية الحركة والنشاط لديه . الا يمكن له أن يفجر هذا الاطار

ويخرج من « حاقته » المفرغة ؟ ان أى مادة ( من مواد العمل ) تقيد الفرد وتفرض عليه شروطا ، لقد أحس فريد بلكاهية بذلك جيدا . ولكن الحل يوجد في غير هذا المكان .

يمكن لهذا الوعي الأول الذى هو مسبقا شيء بدهي - أن يساهم في إبداع من آخر يلائمنا تمام الملاءمة . فن القطيعة الذى يمكن أن يفتح الابواب للابداع الحقيقي ، والتعبير الكلي ، وهو وحده يستطيع أن يجعلنا مختلفين مباينين للآخرين .

ان حوار الثقافة يصبح ممكنا أكثر وبشكل أفضل وأخصب اذا ما كانت كل ثقافة واعية بأصولها وحاجتها الى الآخرين من أجل تكاملية متبادلة .

نقله الى العربية : محمد البكرى

---

### مجلة الدراسات العربية والاسلامية

لوحدة التعليم والبحث في لغات الهند والشرق  
وأفريقيا الشمالية

سكرتير التحرير عبد الرحمن أيوب

توجه المراسلات والكتب والمنشورات والمقالات الى

CAHIERS D'ETUDES ARABES ET ISLAMIQUES

13, rue de Santeuil - Paris 5<sup>e</sup> - France

---